وسابق عنايته فيه فقضى عليه بأكل الشجرة ثم لم يجعل أكله إياها
سببا في إعراضه عنه ولا القطع مدده منه بل كان في ذلك إظهار لوجود
سبحانه فيه وعنايته به كما قال الواهب سبقت له العناية لم تضره الجناية
ورب ود تقطعه المخالفة والود الحقيقي هو الذي يدوم لمحل الوداد
له موافقا كنت أو مخالفا وليس في قوله سبحانه وتعالى ثم اجتباه
ربه دليل على حدوث اجتبائية الحق فيه بل اجتبائية الحق له في
آنئذ قبل وجوده وإنما الذي حدث فيه بعد الذنب ظهور الاجتبائية
من الله له فهو الذي قال فيه الحق سبحانه ثم اجتباه أي أظهر
له أن الاجتبائية فيه والعناية به تنبيهه للتوبة إليه والعذر
في عذره يقارب قوله سبحانه ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
تعريفات ثلاث الاجتبائية والتوبة نتيجتها والهدى الذي هو
نتيجة التوبة فافهم ثم أنزله إلى الأرض فتعرف له فيها بحكمته
كما تعرف له في الجنة بقدرته وذلك لأن الدنيا محل
الوسائط والأسباب فلما أنزل آدم إلى الأرض علمه الحراثة
والزراعة وما يحتاج إليه من أسباب عيشه ليحققه الله بما
أعلمه الله به من قبل أن ينزله بقوله تعالى فلا يخرجنكما من
الجنة فتشقى والمراد بقوله فتشقى تعب الكد لا الشقاوة
التي هي ضد السعادة والدليل على ذلك قوله فتشقى ولم يقل فتشقيا

ثاني المتاعب والكلف إنما هي على الرجال دون النساء كما قال تعالى
الرجال قوامون على النساء ولو كان المراد الشقاء بالقطيعة أو وجود
الحجبة لقال فتشقيا فدل ذلك على أنه ليس الشقاء بالقطيعة
والإبعاد مع أنه لو ورد كذلك لحملناه على الكد الجميل وأرجعناه إلى
المتاعب القائمة بالتأويل **فائدة** جليلة واعلم أن أكل آدم
من الشجرة لم يكن عنادا ولا خلافا فإما أن يكون نسي الأمر فتعاطى
الأكل وهو لا يشعر بذلك وهو قول بعضهم ويحمل عليه قوله سبحانه
ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي وإن كان تناوله ذاكرا للأمر فإنما
تناوله لأنه قيل له ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين
أو تكونا من الخالدين فلحبه في الله وشغفه به أحب ما يوجب
الخلود في جواره والبقاء عنده أو ما يرده إلى الملكية لأن
آدم صلوات الله وسلامه عليه علم بفضل الملائكة من الله فأحب
أن يكون في الشجرة ليناله الملكية التي هي أفضل إذ الذي في ظنه
كذلك على اختلاف أهل العلم وأهل المعرفة أيضا أيهما أفضل الملائكة
أو الأنبياء لأن فيهما قد قال سبحانه وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين
قال آدم ما ظننت أن أحدا يحلف بالله كاذبا وكان كما قال الله
سبحانه فدلاهما بغرور **فائدة** اعلم أن آدم صلوات
الله عليه لم يكن يشتهي مما يأكله في الجنة إذ لم يكن إلا رشحا